



2011-07-08

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

الزكاة تؤخذ ولا تعطى :

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الستين من دروس سورة التوبة، ومع الآية الثالثة بعد المئة وهي قوله تعالى:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) ﴾

[سورة التوبة]

أيها الإخوة الكرام، ملامح كثيرة من خلال هذه الآية، الملمح الأول أن الزكاة تؤخذ ولا تعطى، أي يجب أن يأخذها ولي أمر المسلمين، لأن القضية منوطة بنظام اقتصادي، منوطة بنظام دقيق جداً، فإذا ترك الأمر لاختيار المسلمين هناك مشكلة كبيرة، فالزكاة تؤخذ هكذا القرآن، أما إذا كان هناك ظروف أخرى فهذا موضوع ثان، أما أصل الزكاة فأنها تؤخذ، والدليل يا محمد: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وولي الأمر الذي ينوب عنه إلى نهاية الدوران مهمته أن يأخذ الزكاة من الناس.

الشهوات أودعت فينا لترقى بها إلى رب الأرض والسموات :

أولاً: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ والأموال جمع، لم تأت الكلمة مفردة، جمع، النقدان: الذهب والفضة مال، النقد الورقي الآن مال، الأراضي مال، البيوت مال المعدة للتجارة طبعاً عروض التجارة مال، البضائع مال، كل شيء له قيمة ويكون موضع تداول، موضع تجارة، وبيع وشراء، هو مال، فالكلمة واسعة جداً. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ طبعاً هنا هي الزكاة، لكن الغريب أن الله سماها صدقة، قال بعض العلماء: لأن الإنسان يقوم بنشاطات في الإسلام كثيرة جداً لا تكلفه شيئاً، أما حينما يُطلب إليه دفع ماله فإله - عز وجل - قال:

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالتَّبَنِينَ وَالتَّقَاتِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالتَّخِيلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالتَّانِعِمْ وَالتَّحْرَتِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ

التَّامِبِ (14) ﴾

[سورة آل عمران]

الله - عز وجل - أودع فينا الشهوات، والذي يُعد دقيقاً جداً أنه ما أودع فينا الشهوات إلا لترقى بها إلى رب الأرض والسموات، الحقيقة هناك من يتوهم أنه لو لا الشهوات لكننا من أهل الجنة، لا، لو لا الشهوات لما كنا من أهل الجنة، لو لا أن الله أودع فينا هذه الشهوات، ما ارتقى بها إلى رب الأرض والسموات. أنت لو أمسكت حجراً أو أعطيت فقيراً، هل ترقى بهذا العمل؟ لا، أما حينما تمسك ليرة ذهبية وتعطيها لفقير فترقى بهذا العمل، لماذا؟ الذهب محبب إليك.

الله عز وجل خلقنا ليسعدنا :

فلولا أن الله أودع فينا الشهوات حب النساء لما كان هناك من معنى لغض البصر ، لولا أن الله أودع فينا حب المال، ما كان هناك من معنى لإنفاق المال، لولا أن الله أودع فينا الشهوات، ما ارتقيننا إلى رب الأرض والسموات، لكن أريد أن أوضح هذه الحقيقة:
لأن طالباً قصر في أداء واجباته المدرسية، فعاقبه المعلم، فقال هذا الطالب لمن حوله: إن هذه المدرسة إنما أنشئت كي تعاقبنا، أو كي تضربنا، هذا حمق، المدرسة أنشئت كي تعلمنا، كي تهذبنا، كي نكون قادة للأمة، أما حينما ينحرف أحد الطلاب يُعاقب، فالله -عز وجل- يعاقب لكن الأصل أن الله خلقنا ليسعدنا، والدليل:

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأُمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)﴾

[سورة هود]

خلقنا ليسعدنا، لماذا يكون العذاب إذا؟ خلقنا ليسعدنا، وجبلنا على حبنا لذواتنا، وحبنا لوجودنا، وحبنا لسلامة وجودنا، وحبنا لكمال وجودنا، وحبنا لاستمرار وجودنا، يأتي العذاب من الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به والدليل القطعي قول أهل النار:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

[سورة الملك]

معنى هي أزمة علم فقط، أنت مبرمج، مؤلف، مطور، على حب وجودك، وعلى حب سلامة وجودك، وعلى حب كمال وجودك، وعلى حب استمرار وجودك، فحينما تتغافل عن منهج الله، وتقع في خطأ تُعاقب، أما الأصل أن الله خلقنا ليسعدنا، وأقوى دليل: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ خلقهم ليرحمهم.

المصائب تسوق الإنسان إلى باب الله عز وجل :

بل إن المصائب أحياناً سماها الله -عز وجل- في كتابه نعماً، والدليل قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ (20)﴾

[سورة لقمان]

قال علماء التفسير: النعم الظاهرة النعم المألوفة الصحة والمال، وأما النعم الباطنة فالمصائب، لأن المصائب تسوقهم إلى باب الله.

((عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ.))

[رواه البخاري عن أبي هريرة]

((مامن عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خدش عود، إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر))

[خرجه ابن عساکر عن البراءة في سننه ضعف]

﴿ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)﴾

[سورة السجدة]

إبدأ النقطة الدقيقة جداً أن الله -سبحانه وتعالى- حينما أمرنا أن نُدفع أموالنا ﴿خُدْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ تؤكد صدقهم، المال محبوب لولا أن الله أودع فينا حب المال لما كان من معنى لإنفاقه، لولا أن الله أودع فينا حب المرأة لما كان من معنى لغض البصر والانضباط، إذا هذه الشهوات إنما أودعت فينا لترقى بها إلى رب الأرض والسموات.

الشهوات حيادية توظف في الحق أو في الباطل :

أنا أنكر أن عالماً جليلاً من علماء الشام، زرتة مرة، قال لي: عندي ثمانية وثلاثون حفيداً، فكرت بعد أن خرجت من عنده، أنه تزوج امرأة أنجبت له بنات وبنين، البنات تزوجن والبنين تزوجوا، الصف الثالث أو لاد بناته، وأولاد أولاده، هؤلاء ثمانية وثلاثون، هذا الهرم الذي بدأ به وبزوجته ثم بأولاده وبناته، ثم بأحفاده ذكوراً وإناثاً، ما أساس هذا الهرم كله؟ علاقة جنسية، شهوة، إلا أنها وضعت في مكانها الصحيح، الشهوات حيادية إما أن تُوظف في الحق أو في الباطل.
لذلك أنا أقول دائماً: ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها فيها قناة نظيفة تسري خلالها، بتعبير آخر معاصر: بالإسلام لا يوجد حرمان أبداً، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها فيها قناة نظيفة تسري خلالها.

بل إنني أقول ولا أظن أنني أبالغ: إن متعة المؤمن بحياته الدنيا، لأنها من حلال ووفق منهج الله، ومع هذه المتعة هناك مرضاة الله -عز وجل- التي تفوق متعة أهل الدنيا بدنياهم ملايين المرات، لأنه مطمئن.

مثلاً بيبت فيه كل الأجهزة الكهربائية، المكيف، والثلاجة، والغسالة، والمكواة، والراديو، كل الأجهزة موجودة لكن لا يوجد كهرباء، كل هذه الأجهزة عبء على صاحبها، حجزت محلاً، وأخذت كتلة بلا فائدة، فإذا سرت الكهرباء في البيت كلها لقيمة.

صدق ولا أبالغ، الإيمان يجعل الحياة جنة، الزواج له معنى في الإيمان، إنجاب الأولاد له معنى في الإيمان، إنجاب البنات له معنى.

الإسلام منهج كامل شامل :

الفرق بين حياة المؤمن وفق مبادئه، وقيمه، وأهدافه، وحر كاته في الحياة كبير جداً، ليس الفرق بين إنسانين، إنسان يصلي وآخر لا يصلي، لا أكبر بكثير، أنا أرى أن منهج الله - عز وجل - ليس خمسة بنود كما يتوهمه بعض الناس، صوم، صلاة، حج، زكاة، لا، منهج الله - عز وجل - يبدأ من فراش الزوجية، وهو من أخص خصوصيات الإنسان، وينتهي بالعلاقات الدولية، منهج كامل شامل.

فلذلك أنت حينما تصطلح مع الله وتخضع لله - الآن دقق - أي آية في القرآن الكريم تخاطب المؤمنين علامة إيمانك أنك إذا قرأتها تشعر أنك معني بها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ تَوْرًا هُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَّوْرًا وَاعْفُزْ لَنَا بِئِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿8﴾

[سورة التحريم]

أي آية تبدأ ب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تشعر يقيناً أنك معني بها، لأن الله - عز وجل - كأنه يقول: يا من آمنتم بي، يا من آمنتم بوجودي، يا من آمنتم بربوبيتي، يا من آمنتم بألوهيتي، يا من آمنتم بأسمائي الحسنى، افعل ولا تفعل، فأنت معك منهج، هنا من فقرات هذا المنهج: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي المال الورقي مال، والذهب والفضة مال، والبضاعة مال، عروض التجارة مال، الآن الأراضي المعدة للتجارة مال، البيوت المعدة للتجارة مال، أما بيت السكن فمُعْفَى من الزكاة، أثاث البيت معفى من الزكاة، الأدوات معفاة من الزكاة، المركبة معفاة من الزكاة، هناك أشياء معفاة لأنها مستهلكة، أما كل شيء يمكن أن يكون للتداول، وللبيع والشراء، ويربح فعليها زكاة.

الزكاة تؤكد إيمان المؤمن وصدقته :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ هذه الصدقة تؤكد صدقهم في إيمانهم، علامة الصدق هو الدفع، أما بالصيف فتتوضأ وتُنشَف وتصلي لم تتكلف شيئاً، لا يوجد شيء إطلاقاً، لا يوجد جامع في دخوله رسم دخول، المتحف له رسم دخول، أما الجامع فتدخل دون أن تدفع شيئاً، تتوضأ، والجامع مكيف، مدفأ في الشتاء لا يوجد أي مشكلة، حينما لا تبذل لا تترقى عند الله.

الآن: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي صدقة تؤكد صدقهم مع الله - عز وجل -، تؤكد صدق إيمانهم، أحياناً بعض الدول تعلن عن مسابقة، وتجعل رسماً لهذه المسابقة، إنسان يتقدم إليها وغير جاد في هذا التقديم، حتى لا يكون عبئاً على الدولة، له استمارة، وله إضبارة، وهناك لجان فحص، يضعون مبلغاً جيداً جداً، هذا يكشف الصادقين، من عنده إصرار على الموضوع، يدفع المبلغ، فهنا الزكاة تؤكد إيمان المؤمن، تؤكد صدق إيمانه، تؤكد أنه يحب الله أكثر من ماله. مثلاً الحج، لك بيت مستقر فيه، لك غرفة ضيوف، غرفة جلوس، لك أشياء مريحة جداً في بيتك، اترك بيتك، وزوجتك، وأولادك، ومركبك، ووظيفتك، ومكتبك، وإخوانك، وأحبائك، وأصدقائك، وادهب إلى الحج، هناك متاعب كبير جداً في الحج، حر، ومشقة، وطواف وسعي، وصعود إلى عرفه، هذه تؤكد أن أمر الله أحب إليك من دنياك، فالدنيا دار ابتلاء لدار اجتناء، دار ابتلاء.

الزكاة تطهر النفس من الحقد :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ الآن ما معنى: ﴿تَطَهَّرْ هُمْ بِهَا﴾ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تَطَهَّرْ هُمْ وَتُرْكِبِهِمْ بِهَا﴾ قال: هذه الصدقة التي هي الزكاة تطهر الغني من مرض الشح. إخواننا الكرام عندنا أمراض خبيثة، أمراض عضالة، تنتهي بالموت، مثلاً الورم الخبيث مرض عضال، أنا أقول لكم: إذا كان الورم الخبيث مرضاً عضالاً ينهي حياة الإنسان فالشح مرض عضال أيضاً يصيب النفس، والدليل:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْحًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿9﴾

[سورة الحضر]

الشح مرض خطير يصيب النفس، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تَطَهَّرْ هُمْ﴾ من: تطهر الغني من الشح، والفقير من الحقد، يرى الغني مركبته الفارهة، بيته الفخم، مساحته أربعمائة متر، ألوان الطعام والشراب، أنواع الحلويات، لقاءاته، حفلاته، زيارته، سياحته، أموال ينفقها بغير حساب، وهو فقير معدم، فالفقير يحقد أحياناً، فبالزكاة تطهر من الحقد، فالغني طهره الله من الشح وهو مرض عضال، والفقير طهره الله من الحقد.

الزكاة تطهر المال من تعلق حق الغير به :

الآن الشيء الثالث أن الزكاة تطهر المال من تعلق حق الغير به، الزكاة مالك، لذلك قالوا: أي مالي مهما يكن كبيراً إذا أدبت زكاة ماله، زكاته فقد أذهبت عنه الخطر، البيت قد

تُخْرَبُ بِحَجَرٍ مُّغْتَصَبٍ، حجر واحد، فأنت حينما تؤدي زكاة مالك تطهرت الغني من البخل، من الشح، تطهرت الفقير من الحقد، تطهرت المال من تعلق حق الغير به، لأن الله قال:

{ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (19) }

[سورة الذاريات]

أنت حينما تؤدي الضريبة، لا بأتيتك كتاب شكر من وزير المالية، الدولة تقوم على الضرائب، فيهار واتب موظفين، فيها تعليم، فيها جيش، كل هذه النفقات الكبيرة تحتاج إلى أموال، فالضرائب واجب المواطن، أما حينما يقدم مواطن بناء فحماً ليكون جامعة، فيقام له حفل تكريمي، الحفل التكريمي لِمَا زاد على الضرائب فالزكاة واجب كل مسلم، من أجل أن تستقيم الحياة، والله مرة قرأت دراسة عن بلد نام: لو أن أغنياء هذا البلد دفعوا زكاة أموالهم ما بقي فقير، أحد شروحات الزكاة أنها نظام اقتصادي كامل، لو أن كل غني دفع زكاة ماله ما بقي فقير.

أنواع العبادات:

{ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ** } من الشح إن كان غنياً، من الحقد إن كان فقيراً، تطهر المال من تعلق حق الغير به، لأنه قال: { **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ** } أي هذا الفقير - في أصل التصميم الإلهي - جعله الله يرقى عن طريقك، وهذا الغني جعله الله يرقى عن طريق ماله، لذلك أنا أقول دائماً: عندنا عبادة مألوفة، أن تصلي، وتصوم، وتحج، وتركي، لكن هناك عبادة الهوية، أنت من؟ أنت غني، العبادة الأولى إنفاق المال، أنت عالم؟ العبادة الأولى إلقاء العلم، على ألا تأخذك في الله لومة لائم، أنت قوي؟ العبادة الأولى إحقاق الحق، إذا عندنا عبادة مألوفة شعائرية، كالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، عندنا عبادة الهوية فالغني العبادة الأولى إنفاق ماله، والقوي العبادة الأولى إحقاق الحق، والعالم العبادة الأولى أن تلقي العلم ولا تأخذك في الله لومة لائم، والدليل هناك آية دقيقة جداً:

{ الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (39) }

[سورة الأحزاب]

فلو خشى هذا العالم غير الله ألغيت دعوته كلها، إذا خشى غير الله فسكت عن الحق خوفاً، أو نطق بالباطل رياءً، انتهت دعوته، عندنا عبادة الهوية، الغني عبادته إنفاق المال، العالم عبادته إلقاء العلم، دون أن يخشى أحداً، والقوي عبادته إحقاق الحق.

من يتجاهل الآخرين إنسان أحمق:

{ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** } الآن تطهرهم واضحة، تطهر المال من تعلق حق الغير به، وتطهر الغني من الشح، والفقير من الحقد، أما: { **وَتُزَكِّيهِمْ** } فهذا الغني حينما يرى منات الأشخاص أخذوا من ماله وشكروه، وأصبحوا ممتنين له، وكانوا حراساً له، شعر بمكانة اجتماعية جديدة، لأن المحسن محبوب، فالغني عندما أعطى من ماله لمن حوله ممن يلوذ به زكاة ماله، الفقير اشترى طعاماً، اشترى شراً، اشترى ثياباً، تمتع بالحياة كالغني تماماً، يكن له الود والمحبة، فالغني بين أن يكون من حوله حراساً له، وبين أن يكون من حوله لصوصاً له، بين أن يكون حارساً أو لصاً، تجد الفقير المحروم حاقداً، فأنت تتركب مركبتك، وتحضر الأكل، والفاكهة، والحلويات، وهو يحملها لك إلى البيت كلها، هو يرى، هو إنسان، فهذا الذي يتجاهل الآخرين إنسان أحمق.

الزكاة تزي نفس الغني عن طريق هؤلاء الذين أعطاهم من ماله فأحبوه:

{ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** } تزكيتهم، زكت نفس الغني عن طريق هؤلاء الذين أعطاهم من ماله فأحبوه، والتفوا حوله، وخدموه، وكانوا حراساً له، الآن وزكت نفس الفقير، وجد نفسه محترماً، المجتمع لم ينسه، المجتمع مهتم به، جاء على العيد مبالغ للطعام، والشراب، طبعاً الزكاة أن تكفيه طوال العمر، هناك رأي للإمام الشافعي، والزكاة أن تكفيه طوال العام، أحياناً أنت تؤدي زكاة مالك، تشتري للفقير عربة بيع، فأنت أغنيته طوال حياته، أما أن تعطيه مبلغاً بسيطاً أن يكفيه يومين، فليست هذه الزكاة، أن تغنيه، إماماً أو طوال حياته، طوال حياته تؤمن له آلة حيك، فرضاً، تريكو مثلاً، هذه الآلة عاش منها، أو لسنة معينة، يجب أن تغنيه إماماً، أو لكل الأعوام، هذه الزكاة، أما تجده يصف لك ثلاثين أو أربعين شخصاً لكل واحد مبلغ لا يكفيه يومين، صرفه وانتهى الأمر، بقي فقير، هذه الزكاة ما حلت مشكلة إطلاقاً، يجب أن تحل بها مشكلة حقيقية، لذلك أن تغنيه طوال العام، أو أن تغنيه مدى الحياة، مدى الحياة بحرفة.

{ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ** } فلما الغني أنفق ماله، وكان من حوله محب، وحارس، وصديق، وممتن له، شعر بمكانته، نمت نفسه، بالبر يُستعبد الحر، أما الفقير فوجد أن الشرع لم ينسه، المجتمع مهتم به، المجتمع حريص على سعادته، وعلى إنفاقه، وعلى أولاده، وعلى كل ما يحتاجه، أيضاً شعر بقيمته، هنا النمو، الزكاة هي النمو.

الزكاة تزي المال إما بالطريق المألوف أو بالعناية الإلهية:

{ **تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ** } الآن المال ينمو، طبعاً تنمو نفس الغني، يشعر بمكانته الاجتماعية، وتنمو نفس الفقير فيشعر باهتمام المجتمع به، والمال يزداد، كيف يزداد؟ يزداد بطريقتين، بطريقة اقتصادية، أن هذا الغني إذا أعطى هذا المال للفقراء صار مع الفقير قوة شرائية، سيشتري بها الطعام، والشراب، والثياب، فساهم هذا الفقير برفع مبيعات الغني، فالغني فضلاً عن أنه دفع زكاة ماله، وتقرب إلى الله، ارتفعت مبيعاته، لأن هذا المال ليس له معنى من دون إنفاق، أنفق الفقير على طعامه وشرابه، وثياب أهله وحاجاته، فنفس الغني ارتفعت، ونفس الفقير ارتفعت، المال ازداد بالطريقة المألوفة.

أحياناً دول غنية جداً، يقول: منحنا الدولة الفلانية مئة مليون دولار، ما منحوهم أموالاً نقدية، منحوهم بضاعة كاسدة عندهم، حركوا المعامل عندهم، فأحياناً الدفع يسهم في رفع المبيعات.

هنا المعنى الدقيق: **(تَرْكِيهِمْ)** تزيك المال إما بالطريق المألوف العلمي، بارتفاع القوة الشرائية عند الفقير، والقوة انعكست مبيعات أعلى عند الغني، فزاد ماله بهذه الطريقة، وهناك طريقة ثانية أنا أسميها العناية الإلهية، أحياناً هذا الغني الذي أدى زكاة ماله، الله يصرف عنه بلاء كبيراً، قد يكون حريقاً، يكتشفه في الوقت المبكر، وانتهى الحريق، أما إن لم يكتشفه فقضي على البضاعة كلها. فذلك في بعض النصوص تؤكد أنه:

((ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة))

[أخرجه الطبراني عن أبي هريرة في سنن مشرف]

بلد من بلدات المسلمين اجتاحتها حرب أهلية، أحرقت كل شيء، أنا رأيت محلاً بأم عيني، في مركز المدينة كل ما حوله محترق، يمين، ويسار، وفوق، إلا هذا المحل كما أغلقه صاحبه، دافع زكاة ماله قبل الأحداث بأيام، الله حفظه ماله. **(ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة)**.
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ نفس الغني زكت، ونمت، ونفس الفقير زكت، ونمت، المال زكى بالقوانين الاقتصادية، وزكى بالعناية الإلهية.

الموصول بالله مستنير القلب متوازن بنفسه محب لله عز وجل :

الآن: **(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)** أنت حينما تتصل برسول الله، ما الذي يحدث؟ نفس متأقة، نفس عرفت ربها، نفس متصلة به، فأنت إذا اتصلت بالموصول وصلت إلى الله.

مولدة للكهرباء، تعطي بيتاً من البيوت، فإذا أنت وصلت خطأ لهذا البيت، جاءك ما في المولدة، شيء واضح جداً. لذلك: **(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)** فالنبي الكريم حينما يرى أعمال أصحابه الجيدة يحبهم فإذا أحبهم نشأ اتصال نفسي بين أصحابه وبينه، هذه الصلة النفسية تسعد من اتصل بهذا النبي الكريم.

لذلك أحياناً تجد المؤمن يأتي إلى المسجد، يحضر درس دين يقول لك: ارتحت، لماذا ارتاح؟ لأنه اتصل بنفوس مؤمنة، صار هناك تمازج بينه وبين هذه النفوس، فالذي عنده شيء من الرضا عن الله نقله لهذا الشيء، هذا اسمه بعمل النفس الحديث التخاطر النفسي، أنت ممكن إذا صاحبت إنساناً موصولاً بالله تشعر بقيمة الصلة بالله - عز وجل - **(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ)** الإنسان الموصول بالله - عز وجل - إذا التقيت معه ترتاح، لأنه أنت أصابك من صلة الله شيئاً، الموصول بالله مستنير القلب، متوازن بنفسه، محب لله - عز وجل -، فأنت سافرت معه سفرة، التقيت معه، تشعر براحة، هذه بركة المجلس.

من يلتق بأهل الإيمان يزداد قريباً من الله :

لذلك أي مجلس فيه صالحون تنتزل عليهم الرحمات:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (28)

[سورة الرعد]

وأي مجلس فيه أناس طالحون، منحرفون، لؤماء، تجده عكر الجلسة كلها. يرون أن أحد العارفين بالله إخوانه كلهم محبوبون، وطيبون، ومحبون له، وفي جول طيف، منهم واحد منكر، بعيد عن الله، قال لهم: من يبيع لي هذه العبادة؟ قال له: أنا سيدي، قال له: خذ بها، فأصحابه استغروا، قال لهم: اشترت لكم صفاء هذا المجلس بهذه العبادة. إذا كان هناك إنسان منكر نقاد، لنميم، قناص، يعكر الجلسة كلها. هنا: **(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)** أنت حينما تلتقي بأهل الإيمان تزداد قريباً من الله،

((أَلَا أَنْتِبُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: خِيَارِكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذَكَرُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ))

[صحيح ابن ماجه]

موصول بإنسان يخاف من الله، موصول بإنسان متواضع، موصول بإنسان محب لله، يحب الخير للناس كلهم، هذه صفات رائعة جداً، أما اللئيم فشيء لا يحتمل. يقول سيدنا علي: "والله والله مرتين، لحفر بنزين ببابرتين، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين، وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا أبيضين - كل هذا مستحيل - ونقل بحرين ذاخرين بمنخلين، أهون علي من طلب حاجة من لنميم لوفاء دين".

سئل: ما الذل؟ قال: أن يقف الكريم بباب اللئيم، ثم يردده: **(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّجِيمُ﴾ (104)

[سورة التوبة]

إذا تبت توبة نصوحة أنسى الله حافظيك وبقاع الأرض كلها خطاياك وذنوبك.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)﴾

[سورة الزمر]

إنفاق المال هو الطريق الأسرع لاسترضاء الله :

﴿لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ أيها الإخوة الكرام، ما أمرك الله أن تتوب إليه إلا ليتوب عليك، وما أمرك أن تدعوه إلا ليحببك، هذه حقيقة ثابتة.
﴿لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ينتظرهم.

((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا أَوْ أَغْفَرُ،))

[صحيح مسلم عن أبي ذر الغفاري]

﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ لذلك قالوا: تقع الصدقات في يد الرب قبل أن تقع في يد الفقير، وقالوا في بعض الأحاديث:

((ياكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها))

[أخرجه الطبراني عن علي بن أبي طالب وفي سنده ضعف]

تقع في يد الله قبل أن تقع بيد الفقير، الله - عز وجل - بالمناسبة يُستر ضي بالصدقة إذا كان واحد غلط غلطة مع ربه، الطريق الأسرع إلى استرضاء الله - عز وجل - إنفاق المال.
﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ تواب صيغة مبالغة، وحينما تصاغ أسماء الله الحسنى صياغة مبالغة الله يتوب علينا، فهو التواب؛ كثير التوبة، حينما تصاغ الأسماء الحسنى صياغة مبالغة، صياغة شينين تعني كما أو نوعاً، أي أكبر ذنب تتصوره يغفر الله لك هذا الذنب، ومليار ذنب تُغفر، عدد أو نوعاً، هذا معنى التواب، أكبر ذنب تغفر، ومليون ذنب تغفر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

العمل الصالح علة وجود الإنسان في الدنيا بعد الإيمان بالله :

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)﴾

[سورة التوبة]

أنت في الدنيا من أجل العمل الصالح، والدليل عند الموت تقول:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) نَعْلَمُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)﴾

[سورة المؤمنون]

أي علة وجودك في الدنيا بعد الإيمان هو العمل الصالح، ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الغيب لا يعلمه إلا الله :

دائماً الشهادة نحن بعالم الشهادة، أما عالم الغيب فكما قيل في القرآن الكريم لا يعلم الغيب إلا الله.
لذلك اسمحو الي بهذه الكلمة: أي إنسان أو همك أنه يعلم الغيب قل له: أنت كاذب، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، هناك دعوات لا تعد ولا تحصى أساسها الدجل، والكذب، وإيهام الناس البسطاء، الغيب لا يعلمه إلا الله، والدليل:

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَسْتَكَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)﴾

[سورة الأعراف]

إذا الغيب لا يعلمه إلا الله، فأبي كلام من دجال، من مشعوذ، من جاهل، من إنسان يدعي الدعوة إلى الله، وأعطاك تطميناً على المستقبل، هذا كذب بكذب، لكن أنت حينما ترى إنساناً مستقيماً فبشره بأن الله معه والدليل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْأَمُوا تَنْتَزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْتَهِرُوا بِالْبَجَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)﴾

[سورة فصلت]

فأنت وفق القرآن لك أن تتكلم، بل إن الذي ذكره النبي - عليه الصلاة والسلام - عن علامات قيام الساعة، وعن علامات آخر الزمان، هذه ليست علماً بالغيب، هذا من إعلام الله له، فرق كبير، هو لا يعلم الغيب، قل لا أعلم العيب.

﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّبِيَ السُّوءُ﴾ لكنه نذير وبشير، أما الله - عز وجل - أعلمه عن آخر الزمان:

((يكون المطر قيظاً، والولد غيظاً، ويفيض اللثام فيضاً، ويفيض الكرام غيضاً))

[رواه الطبراني عن أم الضراب في سننه ضعف]

هذه علامات قيام الساعة، فكل الأحاديث التي فيها أشرط الساعة الكبرى والصغرى إنما هي من قبيل إعلام الله له، وهذا مما يؤكد نبوته عليه الصلاة والسلام.

من شروط العمل الصالح الإخلاص و الصواب :

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بينك بقيمة عملك، بينك بإخلاص عملك، مدى الإخلاص فيه، مدى الصواب فيه، مدى ما تتبغى به وجه الله فيه، العمل عمل، واضح، لكن له خلفيات، له أهداف، له شوائب، له انحرافات، لذلك:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاغِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)﴾

[سورة النمل]

قال العلماء: العمل الصالح يرضى الله عنه بشرطين: أن يكون خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغى به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة.

لذلك: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ حقيقة عملكم، الإخلاص في عملكم، الصواب في عملكم، الهدف من عملكم، الخلفية، الأرضية، الملابسات، هذه كلها يعلمها الله - عز وجل - وآخرون، هذه للدرس القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.